الممارسات اللغوية لدي الطلبة الجزائريين الناطقين بالأمازيغية بين اللهجة المحلية القبائلية واللغة الوطنية العربية-الأمازيغية: دراسة وصفية لعينة من طلبة جامعة تيزي وزو

Linguistic practices among Algerian students Berbèrefones between local dialect and the national language arabe-amazigh: an descriptive study of a sample of students from Tizi Ouazou university

Les pratiques langagières des étudiants algériens parlant la langue Tamazight face à l'usage du dialecte kabyle local et la langue nationale arabe-tamazight: étude du cas des étudiants de l'université de Tizi Ouazou

ط. د. عيسى طيب باي
جامعة الجزائر 2

د. مختار جعيجع
جامعة الجزائر 2

تاريخ الإرسال: 03-07-2022- تاريخ القبول: 03-11-2022- تاريخ النشر: 07-10-2023

ملخص

تشكل الممارسات اللغوية حيزا هاما من الحياة اليومية للفرد في سياق تواصله مع غيره من الأفراد، ويتأكد الأمر إذا كانت تقرب الواقع من تمثل الفرد لهذه اللغة، ويتعلم الفرد اللغة سواء في نشأته الأولى (العائلة) وفي المجتمع برمته أو في النظام التعليمي الذي يصقل تلك الملكة اللغوية. ونحاول في هذه الورقة البحثية أن نقف على واقع هاته الممارسات اللغوية اليومية بين اللغة الأم والتي تتمثل غالبا في اللهجة المحلية القبائلية واللغتين الوطنيتين (عربية، أمازيغية) التي يتلقى بهما الفرد تعليمه واللغة الأجنبية (الفرنسية)، وقد جرت الدراسة على مجموعة من الطلبة الجامعيين الناطقين بالأمازيغية واستندت إلى مؤشرات واقعية ميدانية توضح لنا استخدام اللغة الأم واللغة الأجنبية في الممارسات اللغوية اليومية.

الكلمات الدالة: اللغة الوطنية؛ اللغة الأجنبية؛ اللهجة المحلية؛ الممارسة اللغوية؛ طلبة الجامعة.

Abstract

Linguistic practices constitute an important space of an individual's daily life in the context of his communication with the others, and it is confirmed if they bring the reality closer to the individual's representation of this language and the individual learns the language both in his or her first birth (family) and in the educational system that fixes that language. In this paper, we try to see the reality of these daily linguistic practices between the mother tongue, which are often the tribal dialect and the national (Arabic, Amazigh) languages in which an individual receives his education and the foreign language (French). The study was conducted on a group of Amazigh-speaking university students and was based on realistic field indicators showing us to use the mother tongue and the foreign language in everyday language practices.

Keywords: national language; foreign language; dialect; linguistic practice; university students.

Résumé

Les pratiques linguistiques constituent un domaine important de la vie quotidienne d'un individu dans le contexte de sa communication avec d'autres individus, et il est confirmé si elles rapprochent la réalité de la représentation de cette langue par l'individu et si l'individu apprend la langue à la fois dans sa première naissance (famille), dans la société et dans le système éducatif qui fixe cette langue. Dans cet article, nous essayons de voir la réalité de ces pratiques linguistiques quotidiennes entre la langue maternelle, qui sont souvent le dialecte tribal et les langues nationales (arabe, amazighe) dans lesquelles un individu reçoit son éducation et la langue étrangère (français). L'étude a été menée sur un groupe d'étudiants universitaires de langue amazighe, et était basée sur des indicateurs de terrain réalistes nous montrant d'utiliser la langue maternelle et la langue étrangère dans les pratiques linguistiques quotidiennes.

Mots-clés: langue nationale; langue étrangère; dialecte local; pratique linguistique étudiants.

مقدمة

تلعب اللغة دورا أساسيا وجوهريا في تحديد وتشكيل الهوية الثقافية الفردية والجماعية حيث أنها تمثل جزء لا يتجزأ من الثقافة وتشكل أكبر عنصر في كل تبادل ثقافي ولساني، فالهوية هي نتاج العلاقات الدينامية والممارسات الاجتماعية وتنبثق بذلك الممارسة اللغوية كشكل من أشكال الممارسات الثقافية اليومية، لذلك فإن اللغة ظاهرة اجتماعية وكينونة المجتمع تأتي من وجود اللغة للتعبير عن الحاجات المختلفة، إضافة إلى الحاجات التعبيرية المختلفة.

وقد مرت الجزائر منذ الاستعمار وإلى اليوم بثلاثة نماذج لغوية في التواصل والتعليم، اللغة العربية وهي موروث إسلامي منذ أربعة عشرة قرن، واللغة الفرنسية وهي موروث استعماري من الاحتلال الفرنسي واللهجات الأمازيغية المنوعة وهي موروث أقدمهما جميعا في شمال أفريقيا، وقد كان ولا يزال هناك انسجام وتوافق بين اللهجات الأمازيغية والعربية قبل مجيء الاستعمار، ولم يكن هناك من مشكلات اجتماعية في المغرب العربي تتعلق ما ينعت بالصراع اللغوي ولا سيما في الجزائر، وبهذا فالمجتمع الجزائري عرف تنوعات ثقافية ولغوية مختلفة باختلاف الأقاليم الجغرافية العديدة، وتمثل اللغة العربية - وهي لغة الدين الإسلامي ولغة التعليم - السمة اللغوية الغالبة لدى الجزائريين.

ودون أن نذكر مرحلة الاستعمار الفرنسي، التي كانت فيه اللغة الفرنسية هي لغة التعليم والإدارة جاءت مرحلة الاستقلال اعتمدتها الدولة اللغة العربية لغة وطنية رسمية في دساتيرها وساهمت في نشرها وتعميمها في شتى المجالات، ثم قامت بدسترة اللغة الأمازيغية كلغة وطنية عام 1997، ثم رسمية عام 2016م.

وفي الوقت الذي كانت اللغة العربية لغة التعليم والمعارف والكتابة في المدرسة والإدارة والقضاء بقي الحديث عن الأمازيغية حديثا عن اللهجات المحلية المتعددة المختلفة بين مختلف المناطق الناطقة بها، التي تختلف باختلاف رموز كتابتها، والتي تكتسح المجال الأكبر في الممارسات اللغوية اليومية، أما اللغة الفرنسية التي تعتبر اللغة الأجنبية الأولى في الجزائر لها مجال استعمال واسع لا يستهان به بل تكتسح بعض الإدارات الهامة كالبنوك والمؤسسات الاقتصادية الهامة وغيرها، فضلا عن كونها لغة التدريس في جل الجامعات والمعاهد والمدارس الوطنية العليا. ومنه نستشف أن الوضعية اللغوية في الجزائرية تتضمن مستويين لغويين مستوى لغوي رسمي يتضمن اللغات التعليمية (العربية، الفرنسية، الأمازيغية) ومستوى أكثر مرونة وممارسة يومية ويتمثل في شتى اللهجات سواء تعلق الأمر بالعربية أو الأمازيغية، وبهذا تميز الوضع اللغوي في الجزائر بتعدد لغوي ولهجي متنوع.

وهنا يرى بعض الباحثين بأنه "ورغم ظواهر التعريب في بلدان المغرب العربي والجزائر إلا أن البربرية (الأمازيغية) مازالت لغة الأم العديد من الجزائريين والمغاربة، ويجب علينا أن

نأخذ بعين الاعتبار كل أوجه اللهجات المختلطة والممزوجة التي تظهر بأشكال وسمات ما قبل الهلاليين"(معمري، 2021، ص21).

إن الوضعية اللغوية التي سبق الحديث عنها، أدت إلى شيوع خليط من الكلمات في الاستعمال اللغوي في المجتمع ويتأكد هذا الأمر في الفضاء التعليمي الجامعي، من خلال التواصل العشوائي باستخدام كلمات فصيحة وأخرى عامية وألفاظ أجنبية، وقد ارتأينا في دراستنا هذه الوقوف على الواقع اللغوي لدى الطلبة الجامعيين وتأثيره على الممارسات اللغوية الفعلية في السياق اليومي.

وما نهدف إليه من هذه الورقة البحثية هو محاولة معرفة حدود الأمازيغية كلغة ومساهمة اللهجة المحلية المنطوقة في إثرائها لغويا واللغة الأمازيغية التي تم تقييدا بالكتابة والقراءة بعد اعتمادها كلغة رسمية وكذلك مدى تأثر الأخيرة بالأنماط اللغوية الأخرى سواء كانت العربية كلغة وطنية ممتدة إلى زمن بعيد(الفتوحات الإسلامية) واللغة الفرنسية المرتبطة بالاستعمار الفرنسي لشمال إفريقيا ، أي الوقوف على مدى احتواء الأمازيغية على جميع اللهجات المحلية المنتشرة عبر الوطن ليجعل منها لغة وطنية ورسمية يساعد على تعميمها في كل البلاد

ومنه انطلقنا من التساؤل الأساسي التالي: ما هي وضعية الممارسات اللغوية للطلبة الجامعيين في المناطق الناطقة (باللهجة القبائلية) في ظل تعدد اللغات واللهجات التي يكتسبونها خلال المحيط العائلي الذي نشأوا فيه ومن خلال مسارهم التعليمي؟ وتساؤلين جزئيين:

التساؤل الأول: هل تؤثر اللهجة المحلية للطلبة على ممارسة اللغة الوطنية (الأمازيغية)؟

التساؤل الثاني: هل يعكس تحكم الطلبة للغة الأجنبية(الفرنسية) ممارستهم لها في التواصل اليومي؟

وقبل الإجابة عن هذه التساؤلات ينبغي تحديد بعض المفاهيم الأساسية المرتبطة به وهي.

1. حول المفاهيم والإطار النظري

1.1 حول المفاهيم

- **اللغة:** تعد اللغة من أهم آليات التواصل، ومن أهم تقنيات التبليغ ونقل الخبرات والمعارف والتعلم من الأنا إلى الغير، ومما لا شك فيه هو أن عمليات التفاعل الاجتماعي بين الأفراد تقوم على عملية التواصل اللغوي مع الغير إضافة إلى أهمية اللغة في مشاركة الآخرين خبرتهم والتفاهم معهم باستخدام اللغة.

ولكن اللغة تتميز بنوع من الاستقلالية عن الثقافة من ناحية دراستها وتحليلها فأغلب الدراسات اللسانية المتعلقة باللغة تعتبرها كمحدّد جوهري لتلك الثقافة وناقلة لها، ولكن اللسانيين المحدثين ذهبوا إلى أكثر من ذلك فقد اعتبروا أن الإطار الاجتماعي له دور كبير في تحديد معاني الكلمات وقد اهتموا بالاستعمال الفعلي للألفاظ في إطار مجتمع معين أو مجموعة ثقافية معينة أو دينية أو مهنية، فنفس الكلمة تتشابه في بنائها ولكن مختلف معناها من إطار اجتماعي وثقافي لآخر، "ثم أن معرفة الإطار المرجعي الاجتماعي والثقافي للآخرين في أثناء تبادل الحديث أمر في غاية الأهمية لذا نجد أنفسنا أكثر تجاوبا وفهما للذين نتشارك معهم نفس الخبرة للسهولة في التبليغ على اعتبار هذا الأخير نسق من الإشارات والمعاني الرمزية ذات الدلالة والتي تستعمل للتواصل، دون شك فإن العامل الأساسي في نشأة اللغة يرجع إلى المجتمع نفسه، وإلى طبيعة الحياة الاجتماعية، فلولا حاجة الأفراد للتفاهم فيما بينهم والتعبير عما يجول بخواطرهم ما وجدت اللغة، فهي ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية، فهي تنبعث بصورة تلقائية عن الحياة الجماعية" (علي عبد الواحد،2000، ص29).

فاللغة تؤدي دورا هاما في الحياة الاجتماعية وفي التواصل الإنساني ولا يدانيها في ذلك أية وسيلة أخرى من الوسائل كالرموز والإشارات والرسوم، كما تعدّ من الظواهر الاجتماعية التي أنتجها التطور البشري، فهي تركيب معقد ترتبط ارتباطا عضويا بجميع المعارف الإنسانية وانطلاقا من مكوني اللغة من صوت ومعنى ورابط رمزي ودلالي بينهما، فإن فقدان أحدهما ينقص من قيمة اللغة ويحدّ من تأثيرها في المجتمع وكعلاقة عكسية فإن الصوت يستمد معناه من العرف والخبرة السائدة داخل المجتمع أو الجماعة اللغوية والثقافية والرابط هنا بين الصوت ومعناه يكون رابطا عرفيا وليس طبيعيا(مها محمد فوزي،2005،ص148).

-اللهجة: اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث: مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئته خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد تلك البيئة، وهي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئة بعضهم ببعض وتلك البيئة الشاملة يصطلح عليها اللغة، فاللغة إذن أعم من اللهجة، أي اللغة تشمل عدة لهجات، وفي قوانين اللغة فهي متى انتشرت في مساحة واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس لا يمكنها أن تحتفظ بوحدتها الأولى لوقت طويل، وسرعان ما تتفرع إلى لهجات (عبد الواحد وافي، فقه اللغة،ص28) وهذا ما يكسب اللهجة نوعا من النظام الصوتي والبنائي، فكل لهجة تعتبر لغة في حدّ ذاتها، لها نظام صرفي، ونحوي وصوتي، وبقدرتها على التعبير (أنيس فريحة،1989، ص77).

أخذت دراسة اللهجات في العلوم الحديثة المتعلقة بدراسة اللغويات اتجاها تصاعديا وحيزا هاما من اهتمام الباحثين المتخصصين في اللغة من منطلق أن اللهجات مصدر هام من مصادر نشأة أي لغة في العالم، ومن منطلق "أن اللهجات هي الأكثر استعمالا وممارسة في الحياة اليومية للأفراد في تفاعلهم فقد ارتأينا الحديث عن اللهجة ودورها في اللغة، وكون اللغة منطوقة ومكتوبة، فإن اللهجة تكون غالبا منطوقة، حتى وإن كانت اللغة المكتوبة هي انعكاس للغة المنطوقة، فإن الدراسات اللسانية المعاصرة كشفت بأن اللغات في جانبها الصوتي أسرع وأكثر تنوعا من جوانب البناء والتركيب (تمام حسان،1974،ص59) وذلك لأن المنطوق في اللغة يمارس حرية أكثر من المكتوب، أي أن اللهجات أكثر نطقا من الكتابة وأكثر ممارسة من اللغة.

واللهجة المحلية القبائلية التي في ورقتنا البحثية هذه يقصد بها هي اللهجة التي يتداولها السكان المحليين في تواصلهم اللفظي والكلامي اليومي سواء في المحيط العائلي أو المدرسي وغيره، وهذه اللهجة المحلية هي ضمن اللهجات الشائعة في شمال إفريقيا عموما والجزائر خصوصا على غرار لهجات أمازيغية أخرى، مثل الشاوية في منطقة الأوراس والتارقية (نسبة للتوارق) في المناطق الصحراوية [والشلحية والمزابية] غيرها.

ويضم الحيز الجغرافي للناطقين بهذه اللهجة المحلية القبائلية منطقة القبائل الكبرى، في تيزي وزو، بجاية، البويرة، والقبائل الصغرى كمنطقة شمال سطيف، برج بوعريريج وبومرداس... وتتشابه هذه اللهجة مع غيرها من اللهجات في العديد من الألفاظ والمعاني،

وحتى في اللهجة نفسها فتختلف بعض الاختلافات باختلاف مناطق التواجد فاللهجة القبائلية في تيزي وزو تختلف بعض الشيء عن نظيرتها في بجاية وهكذا.

- اللغة الوطنية واللغة الأجنبية في الجزائر

-اللغة الوطنية: كلمة الوطنية من وطن، وطّن توطينا، وطّن اللغة جعلها في أرضها وطنية يحكى بها والتوطين يراد به أن تكون هذه اللغة لسان حال السكان الذين تشملهم الرقعة الجغرافية التي تقع في الامتداد الجغرافي للجزر اللغوية التي تتواجد بها هذه اللغات (صالح بلعيد،2008، ص182).

إن اللغة الوطنية وباعتبارها اللغة النابعة من وطن ما أو أرض معينة، وناطقو هذه اللغة هم من أبدعوها أي أنها ليست نابعة من أي جهة أخرى نتيجة غزو أو استعمار أو احتكاك ثقافي مع شعوب أخرى. وتؤكد العادات والتقاليد ودلالاتها الرمزية ومعاني اجتماعية وثقافية نابعة منها، واللغة الوطنية في الجزائر فهي نابعة من اللغة الأم التي يتلقاها الفرد في السنوات الأولى لتنشئته الاجتماعية في العائلة ويتواصل بها في جميع الممارسات اللغوية خصوصا في الفضاء غير الرسمي (الأسرة).

اللغة الوطنية في الجزائر هي التي يقرها دستور الدولة وتتمثل أساسا في اللغة العربية التي تم اعتمادها بعد الاستقلال لغة وطنية ورسمية وبموجبها تمت عملية تعريب التعليم والإدارة بعد الاستقلال سنة 1963اعتبارا من كون الجزائر امتدادا جغرافيا للعالم الإسلامي الناطق باللغة العربية. أما الأمازيغية فقد تم اعتمادها كلغة وطنية في عام 1996 وبدأت عملية تدريسها في المناطق الناطقة باللهجات الأمازيغية وتم اعتمادها كلغة رسمية في دستور الجمهورية العام 2016 وتم نشر تعليمها في كل القطر الوطني الجزائري والامازيغية وعلاقتها باللهجات الأمازيغية السائدة فهي علاقة بين العام والخاص، "لأن اللغة تشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها،

وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات"(محيسن محمد سالم،2005، ص7) فهي بذلك لغة أكاديمية يتم تعليمها في المدارس الأساسية والثانوية والمعاهد الجامعية المتخصصة في الامازيغية (تيزي وزو، بجاية، باتنة) والمدرسة العليا للأساتذة التابعة لجامعة الجزائر

التي تستخدم الحروف اللاتينية في كتابتها. أما المنطوق فيها يحاكي إلى حد كبير جميع اللهجات المحلية المنتشرة في الجزائر.

وحسب الأستاذ الباحث بوجمعة عزيري الباحث في التراث الأمازيغي في المحافظة السامية للأمازيغية الذي يرى بأن كل منطقة تراعي مبدأ البراغماتية في تعليم ونشر الأمازيغية، فمنطقة الصحراء يستخدمون رموز التيفيناغ في كتابة الأمازيغية أما منطقة ميزاب والأوراس فيعتمدون الحرف العربي في كتابتها، ومنطقة القبائل الكبرى والصغرى يعتمدون الحروف اللاتينية في كتابة الأمازيغية (مقابلة مع الباحث بوجمعة عزيري في المحافظة السامية للأمازيغية بتاريخ 27مارس 2018).

- **اللغات الأجنبية**: في عرف التعليميين (didactiques) والبيداغوجيين هي اللغة الثانية التي يتعلمها الفرد بعد لغته الأصلية، وتهدف إلى تأهيل المتعلم للتمكن من وسائل التعبير بها ومعرفة الأدب والثقافة الأجنبية وتنمية التفاهم الدولي، واكتساب المصطلحات الفنية العلمية والتقنية والمهنية، وتتميز اللغات الأجنبية عادة بطرائقها الخاصة في التعليم والمستويات التي يعمل بها، لتسهيل تعلمها في ظرف قصير.

لم يكن هناك صدى للغات الأجنبية في الجزائر قبل دخول الاستعمار الفرنسي ما عدا اللغة التركية التي كان استعمالها في نطاق محدود حتى المعاملات الرسمية كانت تتم بالعربية الفصحى. ولما دخلت فرنسا إلى الجزائر بدأت بتغيير السياسات اللغوية والتعليمية في البلاد، حتى شهدت هذه الأخيرة دخول لغات أجنبية في المدارس والمعاهد، كان أهمها الفرنسية، وقد كرسها النظام الاستعماري في كافة المجالات إضافة إلى التعليم ولغات أجنبية أخرى كانت تدرّس لأبناء المستعمرين وبعض الجزائريين الراغبين في تعلمها.

أما بعد الاستقلال فحظيت اللغات الأجنبية باهتمام كبير خصوصا الفرنسية منها، أما اللغات الأخرى فقد تقرر تدريسها ابتداء من السنة الثالثة متوسط، عن اللغات الأجنبية فهي الانجليزية وتعتبر ثاني لغة أجنبية بعد الفرنسية وتشهد إقبالا على تعلمها ومن اهتمامات الجزائر باللغات الأجنبية تدريسها في الجامعات وإنشاء مراكز التعليم المكثف للغات.

2.1 حول الإطار النظري

- **آثار التعددية اللغوية في الجزائر:** من آثار التعددية اللغوية في الجزائر "إن الوضعية اللسانية السائدة بالجزائر تتميز بالتعدد اللغوي تتضمن إلى جانب العربية كلا من الأمازيغية والفرنسية، وقد نتجت هذه الوضعية عن ظروف تاريخية قاهرة، وعن اختيارات سياسية فرضتها ظروف الأيديولوجية القومية (العربية) من جهة، وترسيخ النموذج الفرنكوفوني وسياسة الانفتاح من قبل التيار الفرانكوفيلي بالجزائر، كذلك التيار الأمازيغي الذي أراد جعل الأمازيغية كلغة وطنية ورسمية، ولا تشترك هذه اللغات الثلاث في جذور واحدة مثلما تشترك العربية مع لهجاتها والفرنسية مع اللاتينية، ومن يقتصر على لغة واحدة قد يحتاج إلى من يترجم له ليتواصل مع غيره فإذا غادر أحد الأميين منطقة ناطقة بالامازيغية بلهجاتها المختلفة سيجد نفسه مغتربا تماما وفي عزلة لسانية" .(مجموعة مؤلفين، 2004، ص72)

ومن آثار التعددية اللغوية إضافة إلى صعوبة التواصل، سوء التحصيل العلمي والثقافي في المدرسة، حيث يجد المتعلم نفسه أمام لغات جديدة عن لغته الأم التي غرف منها رصيدا معتبرا، وبدلا من أن يبذل جهوده في اكتساب معارف جديدة استيعاب تراكيب الجديدة ناهيك عما تشكله هذه التعددية اللغوية من عقدة في نموه المعرفي واللغوي والفكري والنفسي.

- **مقاربة حول الوضعية اللغوية في الجزائر:** إن وجود واقع ومستوى لغوي أدنى واستعمال تخفيفي للهجات لا بد منه، ولا يعمل هذا المستوى التخفيفي على التخلف اللغوي مطلقا، ولم نجد مشكلة اجتماعية أدت إلى خراب المجتمع من وجود اللهجات ولكن وجد الخراب من غزو اللغات الأجنبية في المجتمعات الضعيفة، كما أن هذا المستوى موجود في كل اللغات فهي المستوى المستخف من اللغة. (صالح بلعيد، 2008، ص 25)

ويضيف بأن "المستوى المستخف من اللغة هو الذي يضفي مرونة على التواصل بين الأفراد، وفهم التصورات التي تحتويها الكلمات والعبارات وما لا تضفيه اللغة الفصحى"، ذلك أن المسافة ليست بعيدة بين اللهجات والفصحى مثلما هو عليه الحال بين اللغة الوطنية واللغات الأجنبية، ويتعلق الأمر باللغات الفصحى التي تعتمد في الأعمال الأدبية والعلمية ذات المستوى اللغوي الراقي، كاللغة العربية الفصحى، والأمازيغية التي يتواصل

بها أصحاب كل اللهجات الأمازيغية في شمال إفريقيا عموما والجزائر على وجه الخصوص، على اعتبار أنها تحتاج إلى توحيد لغوي لتمكين المجتمع من فهم الخطاب المتداول، وبعد ذلك تضفى عليها الشرعية الاستعمالية، إلى أن تحمل كل رموز الوحدة الوطنية.

ولذا لا ينبغي الاختلاف حول جوهر بناء سياسة لغوية تعزز مكانة اللغة الوطنية التي تزيد من الوحدة في الثقافة وبالتالي وحدة الوطن والتاريخ والمصير (لبصير نور الدين 2019، ص352). ولطالما حظيت اللغات بثقل استراتيجي هام في الحياة الاجتماعية، بوصفها من المقومات الجوهرية للهوية وركيزة أساسية في اتصال والاندماج الاجتماعي والتعليم والتنمية، فلما تعتمد الدولة لغة أو لغات وطنية وتفضلها عن غيرها، إنما هي تمكن بذلك لأصحاب اللغة الأم.

وعموما فإن اعتماد السياسات اللغوية يتعلق بنشرها في مؤسسات التعليم الحكومي والاستعمال اليومي لها في الدوائر الحكومية والمعاملات الرسمية، ولكن هذا لا ينفي أهمية استعمال لغات أخرى غير الوطنية بغرض التفتح على غيرها من الثقافات وتلقيحها، وكذا منح الفرصة للغة الأم للتطور، أي استبدال النمط التقليدي من التعليم الذي يعتمد لغة واحدة إلى تعليم متعدد اللغات وهو ما تقتضيه التطورات الحاصلة في ميادين شتى.

2. منهجية للدراسة

1.2 منهج الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة هذه على المنهج الوصفي الذي يعني تفسير الظاهرة موضوع الدراسة والبحث من خلال تحديد ظروفها وأبعادها، والهدف منها الدراسة عموما هو الوصول إلى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها في إطار البحث العلمي (الغريب عبد الكريم، 1996، ص80) وقد تمت عملية وصف الوضعية اللغوية في الوسط الطلابي في ظل تعدد اللغات واللهجات التي يتميز بها المجتمع الجزائري، وقد تم الاعتماد على أداتي الملاحظة والاستبيان في هذه الدراسة كوسيلتين لجمع البيانات والمعلومات.

2.2 مجتمع وعينة الدراسة

أجريت الدراسة على عينة من الطلبة الجامعيين من جامعة تيزي وزو مولود معمري، وللتحديد أكثر نذكر بأنه تم اختيار عينة من الطلبة الجامعيين الناطقين بالأمازيغية، باعتبارها لغة وطنية أقرها الدستور وقد كان عدد الطلبة المبحوثين 300 طالب موزعين على عدة تخصصات في العلوم الإنسانية والاجتماعية. وتدخل هذه الدراسة ضمن إنجاز رسالة دكتوراه في تخصص علم الاجتماع الثقافي.

3. الاستعمالات اللغوية اليومية للطلبة بين اللهجة المحلية واللغة

يتواصل الطلبة بشكل يومي عن طريق زخم لا بأس به من الألفاظ والكلمات والرموز، التي تهدف إلى إيصال الرسالة فيما بينهم سواء في شكلها الرسمي المتعلق بالدراسة والاكتساب التعليمي أو فيما يخص الجانب غير الرسمي، التي تتعلق بما هو خارج نطاق الدراسة والتعليم، وقد تمثلت أشكال التواصل في كل من اللهجة المحلية، واللغة التي تعلموها في المؤسسات التعليمية، ومن خلال تحليل الجداول التالية سنسعى إلى معرفة ما هو النمط اللغوي الأكثر استعمالا في يوميات الطلبة الجامعيين؟

الجدول 1: توزيع المبحوثين حسب اللغة أو اللهجة الأكثر ممارسة في الحياة اليومية.

اللغة (اللهجة) الأكثر ممارسة	التكرار*	النسبة%
1قبائلية، 2 أمازيغية، 3عربية، 4فرنسية	247	%82,3
1أمازيغية، 2قبائلية، 3عربية، 4 فرنسية	24	%8
1فرنسية، 2أمازيغية، 3قبائلية، 4عربية	6	%2
1 عربية، 2فرنسية، 3القبائلية، 4الأمازيغية	23	%7.7
المجموع	300	%100

* المقصود بالتكرارات في الجدول هو الترتيب اللغة الاكثر استعمالا في أربع درجات

من خلال البيانات في الجدول فإن ما نسبته 82.3 % يغلب على تواصلهم اللهجة المحلية (القبائلية) ثم تليها الأمازيغية فالعربية فالفرنسية، أي أن الأغلبية من الطلبة يتواصلون باللهجة المحلية عموما، ويعني ذلك بأن الوسيلة التواصلية التي اكتسبوها في المراحل الأولى من التنشئة الاجتماعية لا تزال ماثلة في المخيال الاجتماعي، حتى بعد اكتسابه أكثر

من لغة غير لهجته، هذه الأخيرة تتضمن شكلا من أشكال الضمير الجمعي المشترك لدى الجامعة الناطقة بهذه اللهجة المحلية.

أما الاستعمالات اللغوية بالنسبة للشباب الجامعي حسب العينة المدروسة في مجالات مختلفة والتي نعني بها كل من اللغة الوطنية (العربية والأمازيغية)، اللغة الأجنبية (الفرنسية) اعتبارا من كونها الأكثر استخداما واللهجة المحلية (القبائلية) كما يعرضه الجدول التالي:

الجدول 2: الاستعمال اللغوي في مجالات مختلفة

اللغة المجال	اللهجة المحلية (القبائلية)	الفرنسية	الأمازيغية	العربية	دون إجابة	المجموع
لغة تعتز وتفتخر بها	164 %54.66	10 %3.3	91 %30.33	24 %8	11 %3.66	300 %100
لغة التواصل داخل الأسرة	242 %80.66	3 %1	24 %8	27 %9	4 %1.33	300 %100
لغة التواصل مع الأصدقاء	218 %72.66	19 %6.3	21 %7	32 %10,66	10 %3.33	300 %100
كتابة SMS والتواصل الاج	53 %17.66	206 %68.66	13 %4,33	20 %6.66	8 %2.66	300 %100
التواصل في الجامعة	169 %56.33	46 15.33	18 %3	61 %20.33	6 %2	300 %100

يتضح من الجدول أن نسبة 80.66% يتواصلون باللهجة القبائلية داخل الأسرة، و72.66% يتواصلون بها مع الأصدقاء و56.33% يتواصلون بها داخل الجامعة. أما الفرنسية فهي أقل الوسائل استخداما في التواصل اليومي في المجالات الاجتماعية السابقة مثلما يوضحه الجدول السابق حيث إن 1% فقط يتواصلون بها في الأسرة و6.3% مع الأصدقاء و15.33% في الجامعة (الأمازيغية هي التي يتم تدريسها بالحروف اللاتينية في المؤسسات التعليمية الابتدائية).

إنه ومن خلال الأرقام والنسب التي احتواها الجدولان السابقان تتجلى اللهجة المحلية هي الوسيلة التواصلية الغالبة لدى الطلبة المبحوثين في العديد من المجالات الاجتماعية التي يتفاعلون فيها، وذلك بترتيب اللغة الأكثر ممارسة في حياتهم اليومية فكانت اللهجة المحلية (القبائلية) هي الغالبة في التواصل، حيث عبر 82.3%عن ترتيب اللهجة المحلية في المركز الأول وتليها الأمازيغية ثم العربية فالفرنسية في الترتيب الأخير. كما أن نسبة المبحوثين الذين يعتبرون اللهجة المحلية أصل الأمازيغية هو 64% في سؤال يتعلق باللهجة التي تعتبر أصل الأمازيغية.

أما عن الجدول المتعلق بمجالات الاستخدام اللغوي الغالب في المجلات المختلفة نجد فيه اللهجة المحلية (القبائلية) هي الأكثر استعمالا بحيث أن ما نسبته 54.66% يعتزون ويفتخرون باللهجة المحلية(القبائلية)، 30.33% بالأمازيغية وهو ما يعكس تأثر اللغة الوطنية باللهجة المحلية. كما أن 80.66% من المبحوثين يتواصلون بها(القبائلية) في الأسرة و72.6% يتواصلون بها مع الأصدقاء و56.33% يتواصلون باللهجة المحلية داخل الفضاء الجامعي وهو ما يجعل اللهجة المحلية الوسيلة التواصلية الغالبة لدى معظم المبحوثين. وهذا ما يفسر كذلك أن تمثل الأمازيغية لا يعكس تماما ممارستها في الواقع رغم أن 86.7 % من الطلبة المبحوثين كلهم قد تعلموها في المدرسة.

يتضح مما سبق بأن الواقع اللغوي في الوسط الجامعي بمنطقة القبائل قد عرف أشكالا متعددة ومتنوعة من الممارسات اللغوية، أي أن هناك أنماطا متعددة للخطاب اليومي تتنوع حسب المواقف والأوساط التي يوجد فيها الطالب: العائلة، الجامعة، الحي... الخ. وهذا ما يتوافق مع ما توصل إليه جيبلبر غرانغيوم الذي يصف الاستخدامات اللغوية في هذه المنطقة والتي تستخدم ثلاث لغات عربية، فرنسية واللغة الأم وتعتبر الأكثر استخداما دائما في الخطاب اليومي (لويس جان كالفي ،2008، ص79) أما الأوليان فهما لغة الثقافة والفكر وتعتبر لغتان منطوقتان ومكتوبتان أما اللغة الأم فالحديث عن اللهجة المحلية (القبائلية) فهي لهجة منطوقة غير مكتوبة.

يكشف الواقع اللغوي في الجزائر عموما - وفي المنطقة الناطقة باللهجة المحلية القبائلية على وجه التحديد - محدودية استخدام اللغة الوطنية (الفصحى) سواء تعلق الأمر بالأمازيغية أو العربية إلا في مواقف قليلة كالتعليم والعبادات... وهو ما يحد من انتشارها

وتعميمها، فبعد أن كانت الأمازيغية منطوقة لا مكتوبة دخلت الحيز التعليمي بالقراءة والكتابة والنطق، فبعد أن سعى العديد من الباحثين واللغويين لجعلها لغة وطنية ونتيجة المطالبات أصبحت لغة التعليم بعد دسترتها عام 1996، واعتبارها تراثا ثقافيا لاماديا ومكونا للثقافة الوطنية الجزائرية، فأصبحت لغة لتدريس في العديد من المناطق الناطقة بها.

وبالمقابل تسيطر العاميات والفرنسية على جل استخدام مع الإشارة إلى الهجين اللغوي من عديد اللغات واللهجات، وحسب الفهري فمن عوامل التي تهدد انتشار اللغة وانحصارها هو عدم استخدامها للتداول اليومي وفقدانها لوضع اللغة التي تتوارث عبر الأجيال دون تلقين (قراءة، كتابة، كلاما) (الفاسي الفهري، 2013، ص 75). فالأمازيغية كمستوى لغوي أعلى من اللهجة المحلية(القبائلية) متأثر بصفة كبيرة باللهجة المحلية (القبائلية) حسب غالبية الطلبة المبحوثين ذلك أن معظمهم يعتبر أن اللهجة المحلية يعتبرها أصلا للأمازيغية.

4. موقف الطلبة من استخدام اللغة الأجنبية في التدريس والاستعمال اللغوي

جدول 3: الطلبة حسب تمثلهم للغات المناسبة للتدريس في الجامعة

اللغة المناسبة للتدريس في الجامعة	التكرار	النسبة
اللغة العربية	69	%23
اللغة الفرنسية	189	%63
اللغة الانجليزية	27	%9
مختلطة (عربية فرنسية)	21	%7
المجموع	300	%100

من الواضح أن 56% هي أعلى نسبة الذين يعتبرون اللغة الفرنسية هي الأنسب للتدريس في الجامعة - كما يبنه الجدول السابق- أما أدنى نسبة فيه هي 7% للذين يعتبرون أن اللغتين (العربية والفرنسية) هما الأنسب للتدريس في الجامعة. لكن هناك مؤشر آخر يكشف عن مدى تمكن الطلاب الحقيقي للغتين العربية والفرنسية ويتعلق الأمر

بتمكنهم من قراءة أسئلة استمارة الاستبيان والتي كتبت باللغتين المذكورتين آنفا وكانت الإجابة عليها اختياري بينهما، فجاءت النتائج كما وردت في الجدول التالي:

الجدول 4: توزيع الطلبة المبحوثين حسب إجاباتهم على الاستبيان (حسب اللغة المكتوب بها)

لغة الإجابة على الاستبيان	التكرار	النسبة
اللغة العربية	239	%79.66
اللغة الفرنسية	61	%20.33
المجموع	300	%100

إن أعلى نسبة المجيبين باللغة العربية 79.66% وأدنى نسبة للإجابات على الاستبيان كانت باللغة الفرنسية، ويعني ذلك أن البيئة الاجتماعية(الأسرة، الحي، جماعة الرفاق) والمحيط التعليمي (الأساتذة وجماعة الطلبة الأصدقاء) إضافة إلى لغة تدريس التخصصات الاجتماعية تمثل عاملا قويا للتأثير في استخدام اللغة الوطنية (العربية) التي تتم القراءة، الكتابة والكلام بها في مجال التدريس غالبا في الإجابة على الاستمارة، معظم الطلبة المبحوثين 63% يعتبرون اللغة الأجنبية (الفرنسية) هي اللغة الأنسب للتدريس والتعليم في الجامعة (الجدول رقم 6)، وهو ما لا تعكسه عملية الإجابة على الاستبيان حيث أن معظمهم أجاب باللغة العربية، وترك الاستبيان بالفرنسية، ولا يعود ذلك بالضرورة لعدم فهمهم للفرنسية وإنما لسهولة الاستبيان بالعربية. (لقد تمت عملية ترجمة الاستبيان وتوزيعه باللغتين العربية والفرنسية).

إن تعلم اللغة الأجنبية في أي نظام تعليمي في العالم لا بد منه وذلك لما لها من أهمية في الإلمام بمستجدات العلوم والتكنولوجيا، من جهة وكذا التفتح على الثقافات الأخرى والمعارف من جهة أخرى، إلا أن الوضع في الجزائر على وجه الخصوص مختلف، وربما يرجع السبب إلى الهيمنة القائمة للأيديولوجية الاستعمارية الفرنكوفونية القائمة منذ ما يربو عن خمس عقود، واللغة الأجنبية الأكثر إقبالا عن التعليم في الجزائر اللغة الإنجليزية بعد الفرنسية، فاللغة الإنجليزية باعتبارها الأكثر انتشارا في العالم اليوم، وبغض النظر عن كونها لغة العلم والتكنولوجيا، وانطلاقا من أطروحة أنها استعمار لغوي مكمل للاقتصادي والثقافي، فإنها لا تلقى صداها الثقافي في المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا.

لقد انتشرت اللغة الأجنبية (الفرنسية) في مرحلة الاستعمار وامتدت إلى جميع المناطق وتركزت بالخصوص في منطقة القبائل الكبرى، وعملت الإدارة الفرنسية على ترسيمها في جميع القطاعات ولا زالت تحتل مكانة متميزة مقارنة بغيرها من اللغات الأخرى، بل أضحت تستعمل كوسيلة شفهية للتواصل لدى العديد من فئات المجتمع إضافة إلى العاميات (مجلة صوتيات، 2008، ص214) الاستعمال اليومي في الكتابة خصوصا في الإدارة والمراسلات والواجهات العامة للمحلات واللافتات التوجيهية في الطرقات وتسميات الشوارع كل هذه المظاهر تزيد من بروز اللغة الأجنبية في الحياة اليومية.

إن اختيار الطلبة المبحوثين للفرنسية كلغة للتدريس في الجامعة رغم كون الإنجليزية اللغة الأكثر انتشارا في العالم سواء في العلوم أو التكنولوجيا، أو في حركة الترجمة في الآداب والعلوم يعكس تأثر الطلبة بالخلفية التاريخية للفرنسية كلغة للمستعمر، ويتأكد الأمر إذا علمنا أن النخبة التي قادت الحركة المطلبية للثقافة واللغة الأمازيغية وجعلها لغة رسمية، ونذكر منهم الأديب والمؤرخ الأنتروبولوجي مولود معمري الذي يلقى صدى كبيرا في المخيال الثقافي والاجتماعي للأمازيغ خصوصا منطقة القبائل، ولكن إجابة معظم الطلبة على الاستبيان باللغة العربية في دلالة سوسيولوجية على أن تمثل اللغة الأجنبية لا يعكس ممارستها بالضرورة في الواقع رغم تمكن معظمهم من اللغة الأجنبية قراءة ،كتابة، وكلاما.

خاتمة

استخلصنا من دراستنا هذه بأن الطلبة الجامعيين الناطقين بالأمازيغية يعتمدون عموما في ممارستهم اللغوية وتفاعلاتهم اللفظية اليومية على المرونة في الأداء اللغوي وهو ما يؤكده الأستاذ صالح بلعيد، فقد كان اعتمادهم في الكلام والنطق بصفة كبيرة على اللهجة المحلية (القبائلية). وهو ما جعلهم يحذون حذو غيرهم من الناطقين بالعامية العربية، فنجد معظمهم يتحدثون لهجات ترتبط بمنطقة انتمائهم حتى أصبح من السهولة تمييز منطقة انتماء الفرد من خلال لهجته التي يتواصل بها، أما الجانب الآخر من مرونة الأداء اللغوي فتمثلت في استخدام العربية في الكتابة والقراءة لتمرنهم عليها في عملية التعليمية خلال مسارهم الدراسي.

وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن اللغة الوطنية (الأمازيغية) تتميز بغلبة اللهجة المحلية (القبائلية)، بالإضافة إلى بعض الألفاظ الأجنبية من اللغة العربية والفرنسية ورغم ذلك فهي ضئيلة الاستخدام في الممارسات اللغوية اليومية للطلبة الجامعيين الناطقين بالأمازيغية واللهجة القبائلية، ومن ذلك فإنه يغلب على الممارسات اليومية للطلبة المبحوثين كل من اللهجة المحلية (القبائلية) ثم تليها العربية والفرنسية ببعض ألفاظها، وقد يرجع ذلك حسب بعض الباحثين في دراسة الامتزاجات اللغوية في شمال أفريقيا عبر التاريخ، إلى الوضع اللغوي المعقد في الجزائر على غرار البلدان المغاربية فهو ليس محصور في لغة واحدة بل هو وقع مركب، هذا الوضع المعقد الذي جاء كأحد أهم مفرزات حقبة استعمارية من تاريخ الجزائر، والسياسة الأحادية التي تبعتها بعد الاستقلال.

وقد حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية تحليل بعض الممارسات اللغوية للطلبة الجامعيين الجزائريين الناطقين بالأمازيغية والتي أردنا من خلالها الوقوف على ممارسة الأمازيغية كلغة وطنية ورسمية في أوساط الناطقين باللهجة المحلية (القبائلية) ومقوم من مقومات الثقافة الوطنية الجزائرية.

المراجع

1.الفاسي الفهري، 2013. السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص 75، دار الكتاب الجديد، لبنان.

2.بن حصير رفيق، 2012. الامازيغية والأمن الهوياتي في شمال افريقيا، رسالة ماجستير تخصص علوم سياسية، جامعة باتنة.

3.بلعيد صالح، (د.ت). في المسألة الأمازيغية، دار هومة الجزائر.

4.بلعيد صالح، 2008. في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، دار هومة، الجزائر.

5.تمام حسان، 1974. مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، القاهرة.

6.خالد عبد السلام، 2011. دور اللغة الأم في تعلم اللغة العربية الفصحى في المرحلة الابتدائية بالمدرسة الجزائرية، رسالة دكتوراه علوم في تخصص الأرطوفونيا، جامعة سطيف.

7.علي عبد الواحد وافي، 2000. نشأة وتطور اللغة عند الإنسان والطفل، دار النهضة للنشر، مصر.

8.علي عبد الواحد وافي، 1973. فقه اللغة، القاهرة.

9.غربي علي، (د.ت). أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية، المكتبة الجامعية، الأزاريطة.

10. فريحة أنيس، 1989. اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت.

11. لبصير نور الدين، جوان 2019. توطين البحث العلمي باللغة الوطنية، أعمال الملتقى الوطني حول المواطنة اللغوية ودورها في تعزيز سبل التعايش السلمي بين اللغات الوطنية في الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية.
12. كالفي لويس جان، 2008. حرب اللغات والسياسات، ترجمة حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
13. مجموعة مؤلفين، 2004. اللغة الأم، مجلة تتناول مقالات في اللغة الأم، دار هومة الجزائر.
14. محيسن محمد سالم، 2005. المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، مؤسسات شباب الجامعة، الإسكندرية.
15. محمد الغريب عبد الكريم، 1996. البحث العلمي التصميم والمنهج والأدوات، مكتبة النهضة، القاهرة.
16. مها محمد فوزي معاذ، 2005. الأنثربولوجيا اللغوية، دار المعرفة الجامعية، الازاريطة.
17. مكانة اللغات في الواقع السوسيو لغوي الجزائري، جوان 2008. مجلة صوتيات، العدد6.
18. معمري جميلة، 2021. الامتزاجات اللغوية في شمال إفريقيا عبر التاريخ، مجلة أفكار وآفاق، المجلد9، العدد 1.
19. يحي صلاح الدين، لامية قداش، جوان 2019. اللسانيات الجغرافية والمواطنة اللغوية، منشورات المجلس الوطني للغة العربية، ملتقى وطني المواطنة اللغوية ودورها في تعزيز سبل التعايش السلمي بين اللغات الوطنية في الجزائر.